مقدمـة

عظيم أن يولد الإنسان في بيت تقى وصلاح ، وأعظم منه أن يكون البيت بيت علم وهداية ، فما بالك لو كان البيت بيتاً قرآنياً ، فيه القرآن تلي وقرئ ،وعلى أصحابه تنزل ، وما بالك لو كان البيت لإحدى أمهات المؤمنين ؟ هكذا ولد صاحب هذه الترجمة ، فقد كان مولده في بيت أم سلمة رضي الله عنها ، إذ كانت أمه مولاة لها ، وزاده قدر الله ميزة أخرى ، فلم يكن بيت أم سلمة رضي الله عنها مولده فحسب ، بل كان حجرها غطاءه ، وصدرها سقاءه ، وشاء الله أن يدر له منها لبناً ، فكان لبناً مباركاً ، غذى به ذرب اللسان ، قوي الحجة والبيان ، إن تحدث فجدير أن يسمع له ، وإن سئل فجدير أن يجيب ، إن وعظ علا صوته ، وجرى دمعه ، وبدا إخلاصه ، فيظهر على الناس الأثر ، يسبق فعله كلامه ، كما يسبق ضوء الفجر وهج الشمس .

أمور كثيرة منَّ الله عليه بها فرفع بين الناس ، وإن لم يكن ذا نسب رفيع ، لكنه رفعه علمه وفضله وتقاه ، طلب الحكام منه النصيحة فنصحهم ، والعظة فوعظهم ، وأعطوه أجرًا فرده وزجرهم ، فهو لا يريد من البشر أجراً إنما كان شعاره إن أجري إلا على الله ، فنعم الأجر هو ، ونعم الرجل كان .

كان أشبه الناس كلاما بكلام الأنبياء، وأقربهم، هدياً من الصحابة، وغاية في الفصاحة، تتصبب الحكمة من فيه) أي من فمه وكان يقول :نضحك ولا ندري لعل الله قد اطلع على بعض أعمالنا فقال :لا أقبل منكم شيئاً، ويحك يا ابن آدم، هل لك بمحاربة الله طاقة؟ إن من عصى الله فقد حاربه،والله لقد أدركت سبعين بدرياً، لو رأيتموهم قلتم مجانين، ولو رؤوا خياركم لقالوا ما لهؤلاء من خلاق، ولو رؤوا شراركم لقالوا: ما يؤمن هؤلاء بيوم الحساب.

قال حمزة الأعمى :وكنت أدخل على الحسن منزله وهو يبكي، وربما جئت إليه وهو يصلي فأسمع بكاءه ونحيبه فقلت له يوماً: إنك تكثر البكاء، فقال :يا بني، ماذا يصنع المؤمن إذا لم يبكِ؟ يا بني إن البكاء داع إلى الرحمة فإن استطعت أن تكون عمرك باكيا فافعل، لعله تعالى أن يرحمك ثم ناد الحسن :بلغنا أن الباكي من خشية الله لا تقطر دموعه قطرة حتى تعتق رقبته من النار.

فما أحوجنا قبل شبابنا ان نتخذ من هذا وأمثاله قدوة لنا بدلاً من فلان المطرب وفلانه المغنية أو الراقصة وكفى أمتنا حمقاً وعبثاً نترك الثمين ونتعلق بالغث اللهم أجرنا من سوء العاقبة آمين .

أسامة عبد الرحمن